مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 11 عدد: 4 السنة: 2022
ص: 188 - 207 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

المعرفة عند الحلاج

Al-Hallaj's knowledge

لندة خلفاوي[1] / آمال كبير[2] *

Linda Khalfaoui [1]/ Amel Kebir[2]

مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية.

جامعة العربي التبسي. تبسة (الجزائر)

Larbi Tebessi University. Tebessa (Algeria)

linda.khelfaoui.@univ-tebessa.dz[1] / amel.kebir@univ-tebessa.dz [2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/09/16	تاريخ النشر: 2022/12/02

ملخص البحث

يتناول هذا البحث بالدراسة موضوعا من أهم الموضوعات والركائز في الفكر الصوفي، وهو موضوع (المعرفة) بوصفها غاية الوجود والهدف الأقصى الذي يسعى إليه الصوفي في معراجه الروحي، متخذا لنفسه أشكالا من المجاهدة والرياضة الروحية للارتقاء إلى الله، ومعرفة الحقائق الباطنية والتحقق بها والتنعم بلذة الوصل من خلال المكاشفة. كما تعدّ تجربة روحية سامية تهدف إلى توحيد الرؤية الصوفية للعالم، متخذة لنفسها منهجا مغايرا لمناهج المعرفة التي عرفتها البيئة الإسلامية على مر العصور.

من هذا المنطلق حاولنا الكشف عن (المعرفة) عند (الحسين بن منصور الحلاج)، وقد توصل البحث فيها إلى مجموعة من النتائج أبرزها: أن المعرفة عند (الحلاج) معرفة مباشرة، تكتسب من الجزئيات الحقيقية الموجودة في المتعينات الخارجية، واستهلاك الكليات فيها، وذلك لا يتم إلا بالمكاشفة ورؤية الوقائع عيانا عن طريق الرؤية القلبية (البصيرة).

الكلمات المفتاح: معرفة، الحلاج، حقائق، مجاهدة، توحيد، بصيرة.

Abstract :

This research is concerned with the analysis of an important topics and pillars of the Sufi thought which is about the Sufi Knowledge considered as the aim of existence and the final objective of each Sufi in his spiritual ascendance adopting forms of spiritual efforts and trainings to get nearer to Allah and to acquire mystic

* لندة خلفاوي: linda.khelfaoui@univ-tebessa.dz

knowledge in order to assimilate it and to enjoy pleasures of nearness via enlightenments.

We seek to unveil this cognition's used by the Sufi to reach this knowledge according to (Elhelladj) who is an important Sufi person that created controversy in Islamic culture and knowledge order. that according to (Elhelladj) knowledge is direct, it is acquired from real particles existing in the world and consuming universals, but it cannot be acquired unless through enlightenments and heart foresight.

Keywords: knowledge, Elhelladj, facts, self strengthening, monotheism, foresight

المقدمة:

يعدّ التصوف تجربة روحية سامية لها طابعها الخاص والفريد في تاريخ الفكر الإسلامي، يهدف إلى بناء الفرد من الناحية الأخلاقية والفكرية والروحية بناء متكاملا، قوامه الأساس الشريعة الإسلامية. وهو منهج سلوكي روحي منبعه التجربة الباطنية القلبية التي تحدد مبادئ التعامل بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان وأخيه الإنسان، أساسه المحبة الصادقة والصفاء الروحي والكمال الأخلاقي؛ وقد اختلف الصوفية على مر العصور في تعريفه ووصفه، وتحديد موضوعه؛ ويرجع الأمر في هذا الاختلاف إلى كون التصوف تجربة فردية، ذاتية تأملية تختلف من صوفي لآخر، فكل متصوف يطرح موضوعا يختلف عن غيره حسب التجربة التي عاشها والأحوال التي مرت به، والمقامات التي عرجها، إلا أن المتفق بينهم، والأساس الذي يسعون إليه عبر رحلتهم هو معرفة الحق سبحانه وتعالى وشعارهم الأبدي "لا مقصود إلا الله"، لذلك فقد أدرك الصوفية بأن معارف الباطن هي المعارف الحقيقية الأصيلة التي لا يشوبها شك ولا ريب، وهي الأساس الذي تتفرع عنه بقية المعارف، لأنها معارف حقيقية تستقى من منبعها الأصلي عن طريق الاتصال المباشر بعالم الغيب، حيث تشرق شمس الحقائق على مرآة قلب العارف فيقف على صور و معانٍ لا يمكن بأي حال الوصول إليها بأدوات المعرفة الحسية أو العقلية؛ لأن المحدود لا يدرك اللامحدود.

إن البحث في موضوع المعرفة الصوفية يعد من القضايا الهامة التي شغلت المفكرين على اختلاف ثقافاتهم وجنسياتهم، ويعد (الحلاج) أحد الصوفيين والمفكرين الذين تحدثوا عن المعرفة بإسهاب وتفرد، فقد خصها بفصل وسمه بـ:"بستان المعرفة" تناول فيه مشكلة المعرفة وطبيعتها وغير ذلك مما يتعلق بها، من خلال نصوص مغرقة في الإشارات والألغاز، ومحاطة بهالة من الغموض والإغلاق.

ولما كانت المعرفة الصوفية تكتسي طابعا خاصا؛ ذلك أن لها بواعثها التي تنطلق منها ووسائلها المحدودة بها. سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الولوج إلى عالم (الحلاج) من أجل البحث في فكره المعرفي، منطلقين من الإشكالات التالية: ماذا تعني المعرفة عند الحلاج؟ ما هو موضوع المعرفة عنده؟ وكيف السبيل إلى بلوغها والتحقق بها؟

للإجابة عن هذه الأسئلة نعتمد المنهج التأويلي الذي يفرض نفسه أداة فعالة لقراءة النصوص الصوفية، قراءة واعية ومتأنية، تستدعي تجاوز الظاهر والغوص في أعماق العوالم الباطنية للذات وتفاعلها مع الآخر.

أولا: المعرفة عند الصوفية:

تعد المعرفة عند الصوفية الهدف الأساس الذي يسعى إليه كل صوفي للوصول إلى الله ومعرفته ونيل سعادة الاتصال به، إلا أنهم اختلفوا في ماهية المعرفة نفسها:

1.مفهوم المعرفة وعوامل ظهورها عند الصوفية:

يرجع سبب الاختلاف في تعريف المعرفة لدى الصوفية إلى اختلاف طبيعة التجربة بوصفها تجربة فردية ذاتية متباينة بين صوفي وآخر؛ فلا ضابط لها إلا الذوق والوجدان الذاتي. فـ(الجنيد) رغم وصفه للمعرفة أوصافا كثيرة يقول: إن المعرفة "وجود جهلك عند قيام علمه" قيل له زدنا ؟ قال: "هو العارف والمعروف"[1]؛ ومعناه أن حصول المعرفة لا يكون بإدراك منك وإنما الحق هو الذي عرّفك بنفسه، لأن إدراكك معرفة الله إنما هي حيرة وعجز، وجهل عن معرفته فالمعرفة لا تكون إلا بالله.

ويقول (سهل التستري): "العلم يثبت بالمعرفة، والعقل يثبت بالعلم، وأما المعرفة فإنها تثبت بذاتها"[2]، وهنا يفرق (التستري) بين العلم والمعرفة فيجعلها أعم وأشمل من العلم؛ ذلك لأن المعرفة لا تحتاج للبرهان والاستدلال المنطقي لأنها معرفة مباشرة، كما أن المعرفة بالله لا تحتاج إلى وسائط.

ويعرفها (القشيري) بقوله: "هي صفة من عرف الحق بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله تعالى في جميع أحواله وانقطع عنه هاجس نفسه، ولم يصل بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريّا ومن الملاحظات نفيا، ودام السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه، صار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره، فيما يجريه من تصاريف أقداره، يسمى عند ذلك عارفا، وتسمى حالته معرفة"[3] فهو يرى أن المعرفة تكون

بدايتها بمعرفة أسماء الله وصفاته ثم العمل بها، والتخلص من كل العوالق، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والعكوف على العبادة في ذلك والبقاء في صلة مستمرة بالله حتى يبلغ مقام السر، عندئذ يسمى عارفا وحالته معرفة.

ما يمكن ملاحظته من خلال هذه التعاريف أو المفاهيم: أن المعرفة عند هؤلاء تدل على مدى سعي الصوفي الدؤوب في البحث عن الكمال الإنساني، والتسامي بالكيان البشري للوصول إلى المعنى الحقيقي للإيمان عن طريق التنقية الروحية، كما تصور مدى تطور الفكر الصوفي في نظرته للوجود، وللنفس البشرية في علاقتها مع الله.

ظهر المذهب المعرفي الصوفي في بدايته على شكل أقوال متناثرة مجردة من الأدلة، غير أن نمو التصوف في علاقته المتناقضة بالاتجاهات المعرفية الأخرى، جعل للمعرفة الصوفية أدلتها وحججها النظرية والشرعية. ويرجع تاريخ ظهور الأقوال الأولى في المعرفة الصوفية إلى مطلع القرن الثالث الهجري. ولقد كان (معروف الكرخي. ت 200هـ) و(أبو سليمان الداراني. ت161هـ) و(ذو النون المصري.ت 245هـ) أول من تكلم في المعرفة.[4] وبالتالي فإن القرن الثالث الهجري، باتفاق عموم الباحثين، يعدّ العصر الذهبي للتصوف بصفته مذهبا في المعرفة الصوفية؛ التي أسهمت في ظهور الكلام فيها عوامل عديدة منها:[5]

أ– محاولة العقل تفسير التجربة الشعورية الوجدانية؛ فظهر فلاسفة مثل (ابن عربي) وغيره، كان عنوان فلسفتهم الأشهر (وحدة الوجود)، بينما أنكر بعضهم ذلك مثل (الغزالي) وأرادوا التأكيد على عدم الخروج بتعميمات فلسفية على حالة الصوفي الشعورية في درجة الجمع والفناء.

ب– نظرية الاتصال عند فلاسفة الفيض، كـ(الفارابي، ابن سينا)، حيث ظهر عندهم نزوع صوفي في تفسير مصادر المعرفة، إلا أن الحال يختلف عند (ابن رشد) الفيلسوف العقلي وهو من نقاد المعرفة الصوفية؛ فقد كان يسأل إن كانت معارف الصوفية تتطابق مع النتائج.

ج– التحول من الزهد إلى التصوف، ونشوء المعرفة الصوفية التي تعد أهم خصائصه.

2. درجات المعرفة الصوفية:

المعرفة عند الصوفية على درجات متفاوتة؛ فهي: علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين؛ وهي تراكيب مستمدة من القرآن الكريم؛ ويعتبر علم اليقين أدنى درجات العلم ويكون عن طريق الخبر والقياس والاستدلال، تليه درجة عين اليقين وهي ما يشاهده ويعاينه البصر، ثم حق اليقين وهو الدرجة العليا من المعرفة الصوفية؛ أي ما يشاهده الصوفي في عالم الغيب بعين القلب.

من خلال هذا التقسيم يتبين أن: الحواس والعقل والحدس أيضا ثلاث مراتب تتفاوت من حيث درجة يقين المعرفة وهي:

أ.مرتبة تجاوز الحس: علاقة خارجية (ذات/موضوع):

المعرفة عن طريق الحواس أدنى المراتب، وهي معرفة العامة التي تستند إلى المشاهدة الحسية، والعلم بالمحسوسات لا يعطي نتائج يقينية كما أنها تخدع الإنسان، لأنك إذا قربت قطعة نقدية من عينك مثلا ونظرت إلى الشمس ستراها صغيرة في مقدار تلك القطعة النقدية، لكن الأدلة الهندسية تدل على أنها أكبر من الأرض.[6]

ب.مرتبة تجاوز العقل: علاقة خارجية (ذات /موضوع):

هي المرتبة الوسطى، وقد أقر المتصوفة بمحدودية العقل في المعرفة؛ لأن العقل أساسه الأدلة والبراهين والمعرفة الإلهية لا تحتاج وسائط لأنها ترد على العارف مباشرة، والعقل البشري مهما بلغت قوة إدراكه فهو قاصر عن إدراك الحقائق الإلهية، فوجود الله مطلق والعقل لا يسع المطلق ،كما أن المحدث لا يمكن أن يدرك القديم، ولا يمكن أيضا للعقل تجاوز حدوده وأطواره؛ "فالعقل ميزان صحيح في دائرته المحدودة... ولكن لا غناء فيه في تقدير مسائل الألوهية والأحوال الوجدانية وأمور الآخرة ونحو ذلك، وإلا كان كالميزان الذي يوزن به الذهب فطمع صاحبه أن يزن به الجبل"[7]، وعلى هذا اعتقد (الغزالي) أن التجربة الروحية تغني الإنسان عن النظر والاستدلال بالعقل لأن معرفتها يقينية، وفي سبيل الوصول إلى ذلك شك في العلوم المبنية على التقليد وفي المحسوسات والعقليات، ولم تعد نفسه إلا بنور قذفه الله في صدره، وكان ذلك النور مفتاح أكثر العلوم بالنسبة إليه[8]. فالتجربة الروحية هي الطريق الوحيدة إلى بلوغ المعرفة الحقيقة التي لا شك فيها، كونها ترفع السالك إلى درجة التلقي المباشر.

ج. مرتبة المعرفة عن طريق الحدس:

هي علاقة داخلية تتلاشى فيها الذات وتفنى ولا يبقى سوى (الموضوع)، وفيها يكون اليقين الكامل، فالإنسان لو يجعل همه الله، أو لو يجمع قلبه ويجعله لله وحده، ويتصف بالأخلاق التي جاء بها القران الكريم، لرفع عنه الحجاب. فالمعرفة الحدسية تحصل للأنبياء في أكمل صورها عن طريق الوحي، وتحصل للأولياء عن طريق الإلهام أو الحدس وتحصل للعامة لمن استقام حاله عن طريق الرؤية الصالحة.

إذا فالمتصوفة لا ينكرون دور العلم والحواس في تحصيل المعرفة، لكن للعقل والحواس حدود لا يمكن تجاوزها وعليه فالأهمية في تحصيل المعرفة هي للحدس. والصوفية يفرقون بين العلم الظاهر والعلم

الباطن (المعرفة) ويجمعون على: أن قصة (موسى) عليه السلام مع (الخضر) توضح ذلك، فالعلم الظاهر يمثله (موسى)، والعلم الباطن يمثله (الخضر)، وبأن العلم لله وحده وفضلا منه يؤتيه لمن يشاء من عباده.

د.المقامات والأحوال:

تعددت الطرق الصوفية وتنوعت تبعا لاختلاف استعدادات السالكين وأساليبهم واجتهاداتهم في السير والسلوك، لكنها في ذاتها وجوهرها طريق واحدة للوصول إلى المعرفة الكاملة والسعادة الحقة، ولكل طريق من هذه الطرق مراحل يقطعها السالك في رحلته نتيجة العبادات والمجاهدات والرياضات وتسمى (المقامات)، وأحوال مصاحبة لها، هي ما يعرض لقلب السالك من أحوال من غير تعمد منه ولا اكتساب، وتختلف هذه المقامات والأحوال في عددها وفي ترتيبها، فما يراه البعض حالا يراه البعض الآخر مقاما، وعلى كل فالصوفية يعتبرون الأحوال مواهب والمقامات مكاسب، ويعد هذا الأمر إيجابيا لأنه يميز فردية التجربة "وقد كانت في بداية النمو الداخلي لحركة التصوف بسيطة فقد عدها الجنيد البغدادي أربعة مقامات وهي توبة تحل الإصرار، وخوف يزيل الغرة، ورجاء مزعج إلى طريق الخيرات، ومراقبة الله في خواطر القلوب، وعدها الطوسي سبعة مقامات وهي التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا، وجعل الأحوال عشرة... في حين هذه المقامات والأحوال سرعان ما تضاعفت عند غيرهم حتى وصلت مائة مقام، وروي أن بعض الشيوخ ذكروا لها ألف حالة"[9]. ولكن لأن الهدف الأساس للصوفي هو الله سبحانه وتعالى والاستئناس بالقرب منه ومعرفته، وليس تعدد المقامات ولا الكرامات والرتب لأنها مجرد محطات يمرون عبرها للوصول إلى هدفهم الأساس، حذر شيوخ الصوفية السالكين من الغرور بها والتوقف عندها لأن ذلك يبعدهم عن المقصود، فلا بدّ من الإخلاص لله في العمل والتوجه.

كما ألزم شيوخ الصوفية أيضا مريديهم بضرورة العمل بأحكام الشريعة، والعمل بالتكاليف الدينية المكتوبة، فالطرق للوصول إلى الله تعالى كثيرة، لكن أصحها وأهمها وأكثرها بقاء وأبعدها عن الشبه هو اتباع السنة قولا وفعلا وعزما وعقدا ونية؛ لذلك كان (الجنيد) يرى أن كل الطرق مسدودة على الخلق إلا لمن اتبع سنة الرسول، وسار على دربه ولزم طريقه[10]، والنظرة المتفحصة لأقوال الصوفية تبين حقيقة أنهم يقيمون نظريتهم في المعرفة على أساس "حصيلة مجموع الطاقات البشرية كلها من روحية وعقلية وإرادية، وهي في جملتها مغامرة فدائية تتطلب تمهيدا نفسيا شاملا على طرق الوسائل الزهدية العديدة، ومرانا روحيا مستمرا ومستضيئا، ودربة عقلية خاضعة لهذا النطاق الروحي الذي يترجم عن المستوى الذي

وصل إليه نضج الصوفي، وعلى ذلك فجميع الفضائل الصوفية تتدرج كلها بلا استثناء تحت تلك الوسائل، على تباين درجاتها وتعدد مراحلها"[11].

ثانيا: المعرفة عند (الحلاج):

1.مفهوم المعرفة عند (الحلاج) وشروطها:

يختلف مفهوم المعرفة –كما سبق ذكره بين الصوفية– فـ(الحلاج) يرى أن "المعرفة : هي عبارة عن رؤية الأشياء، واستهلاك الكل في الأجزاء"[12]ويقودنا هذا التعريف إلى قضية من القضايا الكبرى التي دار حولها جدال كبير بين المناطقة وبين الفلاسفة وغيرهم منذ عهد (أفلاطون)، وهي قضية الكليات والجزئيات في العلم والمعرفة؛ فالمعرفة بالنسبة إلى (الحلاج) تبدأ برؤية الأشياء بوصفها جزئيات حقيقية والأشياء الجزئية هي أشياء واقعية، أما الكليات فتستهلك في الجزئيات لأن كل جزئي له وجود حقيقي وليس مجازيا، "أما القضايا الكلية العامة لا توجد في الخارج كلية عامة، وإنما تكون كلية في الأذهان لا في الأعيان، وأما الموجودات الخارجية فهي أمور معينة، كل موجود له حقيقة تخصه يتميز بها عما سواه لا يشركه فيها غيره"[13]، فـ(الحلاج) يركز على ما يقع في الأعيان وبذلك يرفض القدرات الذهنية التي يعقلها العقل، والمعرفة عنده تسعى للوصول إلى حقائق الأشياء الدقيقة التي لا تدرك إلا باطنا عن طريق الرؤية القلبية (البصيرة) لا كما تبدو في الأذهان، وبهذا يكون قد رسم منهجا آخر للمعرفة يقوم على اختزال الكليات في الجزئيات، وإن لم يفصّل في هذا الأمر.

وفي تعريف آخر يقول (الحلاج): "المعرفة إحضار السر بصنوف الفكر في مراعاة مواجيد الأذكار حسب توالي إعلام الكشوف"[14]، ومعناه أن يطلع على السر من كثرة التجليات لتوالي إعلام الكشوف بما لا تستطيع الكلمات التعبير عنه . وقد ذكر في هذا التعريف شروط حصول المعرفة، وتتمثل فيما يلي:

أ.الفكر:

السر عند الصوفي هو"لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن"[15]، يتم إحضاره حسب (الحلاج) بصنوف الفكر لأن الفكرة أصل المعرفة، وصنوف الفكر كما هو معلوم لا حصر لها: منها التفكر في مخلوقات الله، وفي كتاب الله، وفي آيات الله، وشرعه... الخ، مع الاحتراز من التفكر في ذاته؛ لأنه لدى (الحلاج) من الذنب العظيم، فإذا كانت أسماء الله وصفاته لا يمكن الإحاطة بها كلها لأنها تدخل في علم الغيب، فكيف يمكن الإحاطة بذاته، فالتفكر في ذاته وصفاته مدعاة للانزلاق ودخول الشك، لذلك نهى الله تعالى عباده عن ذلك. والتفكر عبادة الأنبياء، ودرب الأتقياء. فهذا الكون ونظامه العجيب المتكامل

في كل أجزائه، وما فيه من بديع ودقيق الصنع، وجمال التصوير، وإتقان وتناسق، يجعل العقل يعجز أمام عظمة الله، وقدرته على الخلق والتدبير معلنا استلامه، وخضوعه وانقياده لله، مؤمنا بتفرده بالألوهية والربوبية؛ إذ يقول تعالى في سورة (آل عمران) الآية (190، 191): (إن في خلقِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ واختِلافِ الليلِ والنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُلِي الأَلبَاب * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيامًا وقُعُودا وعَلى جُنُوبِهِم ويَتَفَكَّرونَ في خَلْقِ السَّماواتِ والأَرضِ ربَّنا ما خلَقتَ هذا باطلاً سُبحانكَ فَقِنا عَذابَ النار)؛ وقد وصف الله تعالى أصحاب العقول الراجحة بصفتين أساسيتين هما: ذكر الله تعالى في جميع الأحوال، والتفكر في خلق السماوات والأرض، وقد قدم الله تعالى في الآية الكريمة الذكر على الفكر لأن الذكر سفينة الوصول للفكر، فبالذكر تنجلي الغشاوة عن القلب والظلمة، فتتحرر الأفكار من أسر العالم المادي لتجد لها سبيلا في عالم الغيوب والأسرار الربانية. وتلك هي الأفكار التي يقصدها (الحلاج)؛ أفكار أهل النظر والشهود.

ب. مواجيد الذكر:

يعدّ الذكر عند الصوفية ركنا أساسا للسالكين، وأصل كل مقام وقاعدته التي يبنى عليها، فلا وصول لمن لم يكن مداوما عليه، وقد جعله (الحلاج) شرطا أساسا لحصول المعرفة، وربطه بالمواجيد؛ لأن حالة الوجد وحدها الحال التي يتصل فيها العبد بالله. والذكر ليس له حد ولا حال، وهناك من العبادات ما يقصد بها الذكر، فالصلاة ذكر والقرآن أيضا ذكر. فالذكر مصدر النور والنور موجب للإبصار؛ ففي سور (ق) الآية (37) يقول تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد) فالسمع سمع القلب فالصوفية يرون أن للقلب سمع وبصر. والشهادة أيضا شهادة القلب؛ وهي البصيرة. والذكر هو الرابطة الإيمانية التي تربط العبد بخالقه. فالذاكر يكون دائما مع الله. والإنسان المواظب على الذكر في كل الأحوال والأوقات يزيل الصدأ من القلب ويبدد ظلمته ويستبدلها نورا. فالذنوب تترك الران على القلب مما يجعله خاويا لا يسده شيء غير الذكر.

ومن ثمرات الذكر عند (الحلاج): "الولاية" فمن فتح له باب الذكر فتح له باب الولاية فلا ولاية من غير ذكر. والذكر من الأعمال الإيمانية التي تحتاج إلى همة كبيرة من طرف الذاكر، من أجل البقاء على اتصال دائم بالمذكور حتى يصل إلى مرحلة الاستغراق التام فيه، وبذلك يطرد الغفلة ويصفي القلب ويجليه يقول (الحلاج): "الذكر طرد الغفلة فإذا ارتفعت الغفلة فأنت ذاكر وإن سكتّ"[16]؛ فهو الحضور التام مع الله وعدم الغفلة عنه أو الاشتغال بغيره إلى أن يستولي الحق على قلب الذاكر فينعم بمشاهدته، والذكر يكون أولا بلسان الذاكر حتى يحضر القلب فيشاركه الذكر، ثم يعقد لسانه عن الذكر ويبقى قلبه وحده

الذاكر إلى أن يسري ذكر الله في الكيان الروحي للذاكر برمته، فالذكر قوت القلوب وحياة الروح. والقلب عندما يستولي عليه الذكر يتواتر عليه البرهان فيطمئن، فيسكن وعندما يطمئن القلب يكون في حالة حضور، فتستثار حالة الوجد وتتوارد الأنوار على القلب وبهذه الأنوار يبلغ العبد الحجاب –والحجاب هو الساتر بين الغيب والشهادة– فإذا بلغ هذه الدرجة ارتفع عنه حجاب النفس فيفضي بقلبه وروحه إلى الحق وهو ما يسمى بالمكاشفة.

ج. الكشف:

ج.1. الكشف/ المكاشفة لغة:

جاء في (لسان العرب) أن الكشف هو رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه[17].

ج.2. الكشف في الاصطلاح الصوفي:

يقال عند الصوفية:كشف عنه الحجاب؛ أي حجاب الظلمة فرأى الحقائق، فهي مكاشفة بعين البصيرة لا بعين البصر.[18]

ويرى (الجرجاني) أن الكشف هو: الفعل الذي يتم به "الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا"[19].

بينما يرى (الحلاج) أن الكشف سبب لحصول المعرفة في الشيء الذي يعتبر كحجاب فإذا رفع حدث الكشف، والحجاب كما يقول (الحلاج) هو: "ستر يحول بين الطالب ومطلوبه، وبين المريد ومراده. رفع الغطاء أو الحجاب، وتحمل معاني الأنوار والألطاف والرحمة، وكذلك التجلي المعرفي. وبين القاصد ومقصوده، والأمل أن يكون للخلق لا للحق وليس الحق محجوبا، وإنما الخلق هم المحجوبون"[20]، فيشير الحلاج هنا إلى أن الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب عن النظر إليه هم الخلق، لأنه سبحانه وتعالى يراهم من حيث لا يرونه، فلا يمكن أن يتصور أو يخطر ببال أن الله يحجبه شيء وهو الظاهر فوق كل شيء وقبل كل شيء، وهو الذي خلق كل شيء وأظهره. كما أن الساتر أو الحجاب يفصل بين الجهة التي يوجد فيها المستور وغيرها من الجهات التي لا يوجد فيها، والله منزه عن الإحاطة وليس له حد ولا نهاية فكل ذلك مستحيل ولا يجوز في حقه، فالحجاب هنا يرجع إلى الخلق، فالخلق هم المحجوبون بهذا الكون بما فيه من أسباب وأحكام، وإذا ما تجاوزوا هذه الأسباب إلى عالم الغيب يحصل الكشف، وتوالي الكشوفات يؤدي بالضرورة إلى تحقق المعرفة، لأنه بتوالي الكشوفات تتوالى أنوار التجلي على القلب وإذا دام به توالي التجلي حصلت المعرفة.

2.موضوع المعرفة عند (الحلاج):

أ. معرفة الحق:

موضوع المعرفة التي ينشدها (الحلاج) يرتكز على معرفة الحق سبحانه، يقول: "ومن جانب المتلاشي والمسدود، من جانب العلم الذاتي عينها غائبة في ميمها، بالهوية منها منقطعة، منفصلة الخواطر عنها لاهية ساهية"[21]. فالميم من أهم الحروف عند الصوفية، لأنه يرمز للنبي محمد صلى الله عليه وسلم كما يرمز للملك وعالم الملكوت... وكل حرف من الحروف عند الصوفية له من الأسرار الخاصة به ما لا يعرفه إلا من فقه علم الحروف. وفي حساب الجمل (أبجد هوز) الحرف (م) هو (ع)، وإذا قمنا بتغييب حرف العين من كلمة (معرفة) وأعطينا لكل حرف قيمته في حساب الجمل كما يلي: م= 40، ر=200، ف= 80، ه= 5. بجمع هذه الأعداد: 40+ 200+ 80+ 5= 325، يقسم الناتج على 5 وهو عدد حروف كلمة (معرفة) الظاهرة نحصل على العدد 65. و=6. إذن 65= (هو). إذن بغياب العين في الميم تبقى الهوية الأحدية (هو) فحسب . والضمير (هو) عند (الحلاج)كما هو عند الصوفية يشير إلى الحق سبحانه وتعالى، وقد ورد في كثير من الآيات القرآنية بهذا المعنى منها قوله تعالى في سورة (الأنعام) الآية (101): (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، وضمير الغائب هنا غائب عن الحس لا تدركه الأبصار لأن الله تعالى حاضر على الدوام و ليس بغائب.

والهوية (هو) مركبة من حرفين: الهاء والواو والأصل هو الهاء أما الواو فهو زائد بدليل أنه يحذف عند التثنية والجمع وليس لأي اسم من الأسماء هذه الخاصية. وكذلك من الناحية الصوتية فالهاء حلقي مخرجه من أقص الحلق وهي أبعد نقطة فيه، فهو أدخل الحروف الحلقية فهو باطن أما الواو فهو حرف شفوي يخرج بين الشفتين فهو ظاهر. إذن فالهوية جمعت بين الظاهر والباطن كما جمعت بين الأول والآخر والهوية لا تختص باسم أو صفة أو نعت بل هي كل ذلك[22]. وكثيرا ما يستعمل الصوفية هذا الضمير في أذكارهم، بل هو من أذكار خاصة الخاصة.

موضوع المعرفة عند الحلاج يتعلق بالله تعالى المعرفة المطلقة، والتوجه إليه بالكلية وهو الغاية التي يسعى إليها كل سالك كما ورد في سورة (النجم) الآية (42): (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى) وفي ذلك يقول الحلاج[23]:

لا هي هو، ⟵ فرق
ولاهو هي، ⟵ فرق
ولا هو إلا هي، ⟵ جمع
ولاهي إلا هو، ⟵ جمع
لا هي إلا هو، ⟵ تأكيد الجمع
ولا هو إلا هو، ⟵ جمع الجمع

استعمال خاص للضميرين (هو)، (هي)، بين النفي والإثبات (هو= الله)، (هي= المعرفة) نتيجتها جملة التوحيد" لا هو إلا هو" فلا إله غيره، وهو الإخلاص التام الذي ينافي الشرك.

ينفي (الحلاج) أن تكون المعرفة هي معرفة الحق تعالى، لأنه في مقام النعت، وهو مقام فرق فصفات الحق كثيرة ولكل صفة متعلقاتها في هذا المقام بإشاراته إلى مقام المشاهدة تنقطع المعرفة لأنه لن يتمكن من رؤية النور الإلهي والهوية الأحدية لانشغاله بالصفات، وضعفه عن حمل الواردات الإلهية. وينتقل (الحلاج) من مقام الفرق إلى الإشارة إلى مقام الجمع "وهو إزالة الشعث بين القدم والحدث لأنه لما انجذبت بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات، استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة، وارتفع التمييز بين القدم والحدث لزهوق الباطل عند مجيء الحق"[24]. ويبقى بين الفرق والجمع إلى أن يصل إلى مقام جمع الجمع وهو مقام أتم من الجمع حيث تكون المعرفة الحقيقية؛ أين تتجلى الذات الإلهية بأنوارها وجلالها وجمالها فتحصل المشاهدة، والاستهلاك بالكلية في الله، كما اصطلح على هذا المقام باسم مقام العين (عين الأحد) توحيد الخواص لله تعالى "لا هو إلا هو"، بينما توحيد العوام هو "لا إله إلا الله". هنا يطّلع على السر فيعرف حقيقة التوحيد.

إذن فمعرفة الحق هي توحيده، يقول (الحلاج) "والحق واحد، أحد وحيد موحد"[25]، وفي هذا منتهى التنزيه. تنزيه الله عن كل شيء. فالله تعالى مدح نفسه في القرآن الكريم بأنه ليس كمثله شيء. لأنه جل وعلا أعظم من كل شيء ومما يخطر بالبال أو يدور في الخيال فكل ما يتصور في الوهم من كيفية أو تشبيه فالله تعالى بخلافه وغيره، لا يحيط به عقل لأن العقل محدود بالأسباب والعلل. ومذهب (الحلاج) في التوحيد أن الحق هو الموجود على الحقيقة وحده؛ لأن "... العبد إذا وحد ربه تعالى فقد أثبت نفسه، ومن أثبت نفسه فقد أتى بالشرك الخفي"[26]. فكلمة "التوحيد" كما يفسرها تلاميذ (الحلاج) تفيد ضمنا موحِّدا وموحَّدا وتوحيدا وهذا يثبت وجود اثنين، والعامة لا يدركون هذه المعاني الخفية.

وفي هذا المقام يقول (الحلاج): "الطريق إلى الله بين اثنين، وليس مع الله أحد"[27] ذلك أن الطريق يوجب وجود اثنين أو حدين، والله سبحانه وتعالى جل أن يحده مكان أو زمان. ولما سئل التوضيح قال: "من لم يقف على إشارتنا لم ترشده عبارتنا"[28]؛ فكبار الصوفية يكتفون بالإشارة المقتضبة لأن علوم هؤلاء الإشارة والرمز.

إن أول قدم في التوحيد في نظر (الحلاج) هي الفناء في التفريد، ويتأكد من خلال هذا المعنى التفرد والفردانية المتعلقة بالذات الإلهية وهي معرفة شهود تتحقق بالفناء عن وجود السوى وذلك بمحو آثار البشرية وإفراد الحق بالإيثار. والتوحيد عنده ثلاثة أنواع:[29]

الأول حشو التوحيد وهو تمييز الله سبحانه وتعالى عن سائر المخلوقات في ذاته وصفاته وأفعاله فهو الخالق الجامع لكل صفات الكمال، والمنزّه عن كل صفة من صفات النقص، العالم بكل شيء والقادر على كل شيء، أزلي قديم لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام، ليس كمثله شيء، صفاته لا تشبه صفات المخلوقات ولا تقارن بها في أي حال من الأحوال... بعد التمييز بين القديم والمحدث حسب (الحلاج) يعرض العبد عن المحدث ويقبل على القديم بالإقرار بالوحدانية وإنكار الأرباب والأنداد، وهو ما يمكن تسميته بالتوحيد العقلي وهو توحيد العامة.

الثاني: محض التوحيد (الفناء بالقدم عن الحدث) وهو توحيد الخواص حيث يفنى بالله عن الشعور بذاته، فتتوارى الإرادة وتضمحل الأنا، ويفنى عن الإحساس بالغير من خلال الاستغراق التام في الله ويصاحبه البقاء في الوجود الإلهي، بحيث لا يشعر بشيء في هذا الوجود سوى الحق وفعله وإرادته.

الثالث: حقيقة التوحيد وهو توحيد خاصة الخاصة بعيد المنال لا يصل إليه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد أراد (الحلاج) من خلال تجربته العميقة في التصوف، وأفكاره في المعرفة أن يحرر الذات الإنسانية من أسر العالم المادي الذي يحد من إمكاناتها الحقيقية في إعطاء معاني حقيقية للتوحيد، تلك المعاني التي لا يفهمها إلا أهل الذوق والمكاشفة وأصحاب المعرفة الربانية السامية. يقول:[30]

هذا وجودي وتصريحي ومعتقدي هذا توحيد توحيدي وإيماني
هذا عبارة أهل الانفراد به ذوي المعاني في سر وإعلان
هذا وجود وجود الواجدين له بني التجانس أصحابي وخلاني

ب. معرفة الحقيقة:

ب.1. الحقيقة في اللغة:

ما يصير إليه حق الأمر ووجوبه، وبلغ حقيقة الأمر يعني يقين شأنه، وحقيقة الإيمان: خالصة ومحضة وكنهه، وحقيقة الشيء يقينه[31].

ب.2. في الاصطلاح الصوفي:

هي إقامة العبد في محل الوصال إلى الله، ووقوف سره على محل التنزيه، وقيل الحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه، بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت.. وقيل الفرق بين الحق والحقيقة أن الحق هو الذات، والحقيقة هي الصفات، فالحق اسم الذات والحقيقة اسم الصفات، ذلك أن المريد إذا ترك الدنيا وتجاوز عن حدود النفس والهوى، ودخل عالم الإحسان، يقولون دخل عالم الحقيقة، وقد يريدون بالحقيقة كل ما عدا عالم الملكوت وهو عالم الجبروت. وقيل الحقيقة هي التوحيد، وقيل هي مشاهدة الربوبية[32]، والملاحظ أن مصطلح الحقيقة في ألفاظ الصوفية قد ورد على معان عدة تدور أغلبها حول صفات الله وتنزيهه عن كل المحدثات، وبلوغ الكمال، ودرجة الإحسان، ومقام المشاهدة.

ب.3. الحقيقة عند (الحلاج):

أما معنى الحقيقة عند (الحلاج) فهي: "... شيء لا تغيب عنه الظواهر والبواطن ولا يقبل الأشكال"[33]، بمعنى أن الله تعالى قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن والسرائر والضمائر والخفايا ودقائق الأشياء، لا يخفى عنه مثقال ذرة من أحوال خلقه فهو مطلع على كل شيء في هذا الكون، كما تعني التنزيه لأنه تعالى منزه عن الامتزاج أو الحلول في الأشكال.

والمعرفة لها باب هو باب الذوق، حيث ينشأ من الحب اللامتناهي إضافة إلى السلوك الرباني الذي يعتمد المجاهدة أو كما تسمى الجهاد الأكبر لقمع النفس الشيطانية في ظل وجود الأنوار الإلهية التي تفيض على العارف بحكم قربه ووصله بخالقه؛ إذ في هذه الحالة تنتفي كل الموجودات في ظل الإشراقات الربانية وتتبدى الحقائق الغامضة للرائي دون إدراك منه لما حوله أمام توارد الأسرار التي كانت مخفية، في هذه الحالة تسقط كل الإمكانات وتتجلى كل الحقائق.

والحقيقة هي وجود الحق، والوصول إليها يحتاج تزكية النفس وتطهير القلب عن طريق المجاهدات وقطع المقامات، وقد ذكر (الحلاج) في كتابه (الطواسين) أربعين مقاما وإن كان نصه تضمن واحدا وأربعين مقاما فإنه يجعل المقام الأخير خاصا بالصفا والصفوية مقام البداية، فنهاية المعرفة عند العارف هي

البداية (النهاية= البداية). صفاء النفس مما يعكرها، وكلما صفت انجلت صفحتها وتطلعت إلى مالا يمكن دركه إلا بالمرآة حيث تختفي الشبهات والشكوك ويحل محلها اليقين.

ويقسم (الحلاج) الحقيقة إلى ثلاث مستويات هي:[34]

- **ضوء المصباح /علم الحقيقة:**

حرمي على حد قول الحلاج لا يمكن للخلق إدراكه لأنه خاص برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

- **حرارته/ حقيقة الحقيقة:**

إحساس بالقرب ودرك المعطيات الحقيقية الغائبة عن الأفهام بما يقتضيه القرب، هنا يتلاشى العارف بعرفانه كفراشة النار ولا يبقى سوى الوجود الحقيقي، وجود الواحد الأحد فيتبدى الباب الثاني حيث تغيب معرفة الحقائق أمام حقيقة الحقائق في هذا المقام حيث الحيرة والعجز عن الإدراك لما هو أزلي وباق، لأن حقيقة الذات الإلهية لا يمكن إدراكها أو معرفتها وهي من الأمور التي يجب عدم الخوض فيها أو الانشغال بها، أما المعرفة التي يقصدها المتصوفة هي العلم بوجود الحق سبحانه وتعالى لا العلم بذاته، وبما أنه سبحانه وتعالى وحده المتصف بكل صفات الكمال والمنزه عن كل صفات النقص فإن الإنسان هذا المخلوق الضعيف بعقله المحدث، والمحدود لا يمكنه أن يدرك ذات الله ولا العلم بكنهها، بمعنى نفي الإحاطة والإدراك لأنها من الأمور المستحيلة؛ لذلك اعتبر (الحلاج) من يسعى من أجل معرفة الله كما يعرف نفسه من أجهل الطوائف، لأن الإنسان في حقيقة الأمر لا يعرف نفسه حق المعرفة، فأنى له أن يعرف أو يدرك حقيقة خالقها.

- **الوصول إليه/ حق الحقيقة:**

يتطلب دخول الباب وهذا لا يصح إلا للأنبياء.

وأول مراحل الدخول في دائرة أهل الطريق تقتضي التخلي عن كل العوالق التي تثقل النفس وتشغل القلب عن الله فتجعل الإنسان أسيرا لهذا الكون وإغراءاته المادية، لذلك يذهب (الحلاج) إلى أن السالك إذا أراد أن يتحقق بالحقيقة فأول عمل يقوم به هو ترك الأهل.

كما تجب الإشارة إلى قضية "الشريعة والحقيقة" التي خلفت جدلا كبيرا وخصومات فكرية بين علماء الشريعة وأئمة الصوفية، فعلماء الشريعة ينتقدون الصوفية ويعيبون ما يسمى بالحقيقة عندهم ويتهمونهم بالفصل بينهما، وبأنهم يرون أن الشريعة وضعت للعامة من الناس، وأن أحكامها تسقط عليهم

لأنها تشغلهم عن الله لأنهم في اتصال لا ينقطع معه تعالى وغير ذلك من الأمور، بينما الصوفية ينفون عن أنفسهم هذه التهم، ويرون أنه لا انفصال بين الشريعة والحقيقة والقول بغير ذلك يعد نفاقا وزندقة، لأن الشريعة كلها حقائق. أما (الحلاج) فيقول: "أما باطن الحق فظاهره الشريعة، ومن يحقق في ظاهر الشريعة ينكشف له باطنها، وباطنها المعرفة بالله"[35].

إذا فـ(الحلاج) يقسم الشريعة إلى ظاهر وباطن فيجعل ظاهرها هو باطن الحق، وباطنها هو المعرفة بالله أي الحقيقة. فالحقيقة عنده هي جوهر الشريعة وروحها لذلك لم تصرفه هذه الحقيقة عن الشريعة فقد كان كما قال (الواسطي) حين سأل (ابن سريج) ما تقول في (الحلاج)؟ قال: "أما أنا فأراه حافظا للقرآن عالما به ماهرا في الفقه عالما بالحديث والأخبار والسنن صائما الدهر قائما الليل..."[36]، كما أن (الحلاج) لم يتبع مذهبا معينا من مذاهب الدين الإسلامي بل كان يأخذ من كل مذهب أشدّه على حد قوله.

3.وسائل بلوغ المعرفة الصوفية عند (الحلاج):

أداة المعرفة عند (الحلاج) هي الرؤية والرؤية في العالم الباطني تختلف عن الرؤية في العالم الظاهر لأنها لا تتعلق بالبصر، ولأن البصر مرتبط بالماديات والبصر محدود ببعدي الزمان والمكان، إنما الرؤية التي يقصدها هي رؤية وجدانية روحية، رؤية الحق بعين القلب حيث يقول[37]:

رأيت ربي بعين عقلي فقلت من أنت؟ قال أنت
فليس للأين منك أين وليس أين بحيث أنت
أنت الذي حزت كل أين بنحو "ولا أين" فأين أنت
وليس للوهم منك وهم فيعلم الأين أين أنت

فالقلب هو القادر باستصحاب الطاعات وتهذيب النفس عن طريق المجاهدات على إدراك المعارف اليقينية إدراكا لا يخالطه شك ولا وهم، فهو كما يقول العلماء مستودع الأسرار الربانية، وهو واسع يسع المطلق وهو محل المعرفة الروحية العميقة، وبما أن صفة القلب التقلب فإنه قادر على عكس حقائق الوجود فتنطبع في مرآته حقائق الغيب وتجلياته المطلقة.

والرؤية عند (الحلاج) هي أعلى مراتب الكشف وأوضحها، وهي الوسيلة الوحيدة لمشاهدة الحقائق المجردة، والمعاني الدقيقة حيث تشرق على الفؤاد أنوار التجلي الإلهي ليرى الحقيقة كما هي، وذلك وارد في (الآية 11) من سورة (النجم): (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى)، فتنكشف له كنوز الأسرار الغيبية جلية واضحة فيصير بذلك صاحب الرؤية هو "العارف" و"العارف من رأى"[38].

تستلزم الرؤية عند (الحلاج) الفناء وفي ذلك يقول: "كأني كأني، وكأن هو، أو هو أني، لا توق عني إن كنتَ أني"[39]، إنه الفناء التام حيث تمّحي آثار الكون ويتلاشى العارف ويزول في حضرة القرب ولا يبقى سوى المشهود رب الخلق والأكوان بأنواره وجماله وجلاله، ومن رأى الجمال الإلهي يبقى بلا هو ويصير بذلك العبد فانيا، وبالحق باقيا كما يردّد (الحلاج).

الفناء في المشاهدة يقتضي البقاء بالله فلا معرفة إلا لمن بقي، يقول: "المعرفة بمن بقي"[40]، والرؤية تصبح أشد وضوحا وأعمق حضورا إذا توجت بالبقاء. وأصل ذلك كله هو تحقيق شهادة "لاهو إلا هو" فهذه الشهادة إنما تجمع في جوهرها بين ثنائيتين لا تنفصلان عن بعضهما هما (النفي والإثبات) في مقابل (الفناء والبقاء)، هما لب التوحيد عند (الحلاج).

والبقاء آخر مقام حيث يبقى العبد في حفظ الله ورعايته يقول (الحلاج): "إذا أراد الله أن يوالي عبدا من عباده فتح عليه باب الذكر، ثم فتح عليه باب القرب، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم يرفعه عن الحجب، فيرى الفردانية بالمشاهدة، ثم أدخله دار الفردانية، ثم كشف عن الكبرياء والجمال، فإذا وقع بصره على الجمال بقي بلا هو، فحينئذ صار العبد فانيا وبالحق باقيا، فوقع في حفظه سبحانه، وبريء من دعوى نفسه"[41]. فلخص (الحلاج) درجات سلم العروج الروحي للوصول إلى المبتغى الحقيقي حيث زوال الشكوك والأوهام، وتبدأ هذه الرحلة المضنية بفتح باب الذكر وتنتهي بالبقاء بالله حيث المعرفة الإلهية اليقينية.

والفناء لا يكون إلا إذا صقل القلب وأصبح خاليا مما سوى الحق، وامتلاء القلب بالمعرفة لا يتم إلا إذا امتلأ حبا بالله. فالحب عند (الحلاج) اتخذ أبعادا سامية ما بين روح تتلهف للقاء المحبوب وروح تتعذب بلقائه والقرب منه، فلا مفر من هذا أو ذاك. لقد سيطر العشق على كل ذرة من كيانه الروحي فغدا هائما طالبا العتق من هذا الكون وما يحويه من علائق. الحب الخالص لله، الشوق الدائم للوصل، الألم الذي ينخر روحه، هي عبارات لا يعرفها ولا يحسها إلا من فني في الله، فاستعصى عليه البقاء في هذه الدنيا. إنه الحب بلا مقابل، حب بلا وسائط، هو الإخلاص التام للمحبوب الأزلي، والفناء التام عما سواه، وهكذا لم يعد وجود (الحلاج) سوى تجلٍ لمولاه.

وبهذا الارتباط الروحي المتعالي، المتوهج بالحب، المتوقد بنار الوجد بنى (الحلاج) نظريته في الحب الإلهي التي جعلته معراجا للوصول إلى معرفة الله، ومن عرف الله شهده في كل شيء.

الخاتمة:

يمكن حوصلة نتائج المقال كالتالي:

– يعرض لنا (الحلاج)كيفية الوصول إلى الله تعالى دون وسائط، والطريقة المناسبة لذلك من خلال نظام معرفي دقيق أساسه المحبة الإلهية الخالصة، والتجربة الروحية العميقة.

– موضوع المعرفة عند (الحلاج) هو معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة حقيقية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهذه المعرفة لا تعتمد العقل واستدلالاته ولا المشاهدة الحسية وتجاربها، لأن معرفة الله أبعد من ذلك كله.

– معرفة الله هي توحيده وتميزه عن كل المخلوقات وتنزيهه عن كل شيء.

– التوحيد عنده هو وجود الحق وحده على الحقيقة وتجليه في كل ما نشاهد، ويقسمه إلى ثلاثة أنواع توحيد العامة وتوحيد الخاصة وتوحيد خاصة الخاصة.

– الحقيقة عنده وجود الحق وسبيل الوصول إليها صعب يحتاج إلى اجتهاد ومجاهدة في طريق طويل بالمرور عبر المقامات الأربعين التي حددها في طواسينه، وجب قبلها نبذ الدنيا والتخلي عن كل شيء غير الله.

– يعد(الحلاج) سابقا لعصره في منزعه الإنساني، واستشعاره للوجود، ونظرته الدقيقة للحقيقة التي يقسمها إلى ثلاثة أقسام: علم الحقيقة، حق الحقيقة، حقيقة الحقيقة، وأبعد من ذلك يقحمنا في مراتب أخرى للحقيقة مآلها الحيرة والعجز عن المعرفة.

– وسيلة المعرفة الوحيدة هي المعاينة المباشرة أو الرؤية عن طريق القلب الذي تنقى بما تراكم عليه من آثار المادة، وتحصل الرؤية بعد الفناء عن كل شيء والبقاء بالله وحده لا شريك له.

– المعرفة عند (الحلاج) مكتبسة؛ حيث يمكن لأي إنسان أن يترقى في مدارج السالكين بترويض النفس عن طريق المكابدة والمجاهدة وقطع المقامات لبلوغها، لكنه يضع حدودا للمعرفة، وهذه المعرفة خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم فقط فبابها موصد أمامهم لا يمكن دخوله.

هوامش:

[1] – نور الدين بن أحمد الجامي: نفحات الأنس من حضرات القدس، تح: محمد أديب الجادر، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت– لبنان)، ص 13.

[2] – الكلباذي: كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، (1994)، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، مصر، ص39

[3] – أبو القاسم عبد الكريم هوزان القشيري: الرسالة القشيرية، (2001)، دار الكتب العلمية، (بيروت– لبنان)، ص342

[4] – ناجي حسين جودة: المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، (2006)، دار الهادي، ط1، (بيروت، لبنان)، ص123

[5] – المرجع نفسه: ص125– 126

[6] – أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تح: جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس، (بيروت، لبنان)، ص 66

[7] – أبو العلا عفيفي: التصوف، (2020)، الثورة الروحية، مؤسسة هنداوي، (مصر)، ص 218

[8] – جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، (1989)، دار الكتاب العالمي، (بيروت، لبنان)، ص 349

[9] – هيئة التحرير: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، المكتبة الحديثة، (مصر)، ص 912

[10] – المرجع نفسه، ص 912.

[11] – محمد كمال إبراهم جعفر: التصوف طرقا وتجربة ومذهبا، (1970)، دار الكتب الجامعية، القاهرة، ص203،204

[12] – الحلاج: الأعمال الكاملة (الطواسين)، تح: قاسم محمد عباس، (2002)، مكتبة الإسكندرية، ط1، (مصر)، ص 203

[13] – ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم وولده محمد، ج9، (1992)، دار عالم الكتب، (المملكة العربية السعودية)، ص 233

[14] – الحلاج: الأعمال الكاملة (نصوص الولاية)، ص 246

[15] – عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، (1987)، دار المسيرة، ط02، (بيروت، لبنان)، ص 129

[16] – الحلاج: الأعمال الكاملة (نصوص الولاية)، ص 232

[17] – ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، (القاهرة، مصر)، ص 3883

[18] – حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، (1992)، دار المعارف، ط2، (القاهرة، مصر)، ط2، ص 242

[19] – علي بن محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، (1985)، مكتبة بيروت، (لبنان)، ص193

[20] – الحلاج: الأعمال الكاملة (نصوص الولاية)، ص 230

[21] – الحلاج: الأعمال الكاملة (بستان المعرفة)، ص 215

[22] – لحميتي محمد: الذكر بالاسم (هو)، الإشارة، العدد17، ماي2001، اطلع عليه يوم (2022/04/02، 08:42 https:/www.nafahat-tarik.com

[23] – الحلاج: الأعمال الكاملة (بستان المعرفة)، ص 216

[24] – عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، ص 66

[25] – الحلاج: الأعمال الكاملة (الطواسين)، ص 203

[26] – الحلاج: الأعمال الكاملة (نصوص الولاية)، ص 228

[27]– المصدر نفسه، ص 236

[28]– المصدر نفسه، ص 239

[29]– ينظر: المصدر نفسه، ص227

[30] – الحلاج: الأعمال الكاملة (الديوان)، ص 324

[31] – ابن منظور: لسان العرب، ص 942

[32] – عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، ص 79

[33]– الحلاج: الأعمال الكاملة (الطواسين)، ص176

[34]– ينظر: المصدر نفسه.

[35]– الحلاج: الأعمال الكاملة (نصوص الولاية)، ص 237

[36]– علي بن أنجب الساعي: كتاب أخبار الحلاج، تح: محمد فوزي الجبر، (1997)، دار الطليعة الجديدة، ط2، (دمشق، سوريا)، ص 92

[37]– الحلاج: الأعمال الكاملة (الطواسين)، ض 180

[38]– الحلاج: الأعمال الكاملة (بستان المعرفة)، ص216

[39]– الحلاج الأعمال الكاملة (الطواسين)، ص168.

[40]- الحلاج: العمال الكاملة (بستان المعرفة)، ص 216.

[41]– المصدر نفسه، ص 242-243

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جمع: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم وولده محمد، ج9، (1992)، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية).

2- جميل صليبا: تاريخ الفلسفة العربية، (1989)، دار الكتاب العالمي، (بيروت، لبنان).

3- أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تح: جميل صليبا وكامل عياد، دار الأندلس، (بيروت، لبنان).

4- الحلاج: الأعمال الكاملة، تح: قاسم محمد عباس، (2002)، مكتبة الإسكندرية، ط1، (مصر).

5- حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، (1992)، دار المعارف، ط2، (القاهرة، مصر).

6- أبو العلا عفيفي: التصوف الثورة الروحية، (2020)، مؤسسة هنداوي، (مصر).

7- عبد المنعم الحفني: معجم مصطلحات الصوفية، (1987)، دار المسيرة، ط2، (بيروت، لبنان).

8- علي بن أنجب الساعي: كتاب أخبار الحلاج، تح: محمد فوزي الجبر، (1997)، دار الطليعة الجديدة، ط2، (دمشق، سوريا).
9- علي بن محمد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، (1985)، مكتبة بيروت، (لبنان).
10- أبو القاسم عبد الكريم هوزان القشيري: الرسالة القشيرية، (2001)، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان).
11- الكلباذي: كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، (1994)، مكتبة الخانجي، ط2، (القاهرة، مصر).
12- لحميتي محمد: الذكر بالاسم (هو)، الإشارة، العدد17، ماي2001، اطلع عليه يوم: (2022/07/11) الساعة: 08:42، https:/www.nafahat-tarik.com
13- محمد كمال إبراهم جعفر: التصوف طرقا وتجربة ومذهبا، (1970)، دار الكتب الجامعية، (القاهرة، مصر).
14- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، (القاهرة، مصر).
15- ناجي حسين جودة: المعرفة الصوفية دراسة فلسفية في مشكلات المعرفة، (2006)، دار الهادي، ط1، (بيروت، لبنان).
16- نور الدين بن أحمد الجامي: نفحات الأنس من حضرات القدس، تح: محمد أديب الجادر، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت، لبنان)
17- هيئة التحرير: موسوعة المفاهيم الإسلامية، المكتبة الحديثة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (مصر).